البحث (٧)

قضية الألوهية عند الفارابي وابن سينا ومـوقف القرآن الكريم منها

أ . د / راشد محمد راشد سليمان

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نور السماوات والأرض يهب الحكمة لمن يشاء من عبادة فيصيب بها من يشاء ويصرفها عمن يشاء . وهو أعلم حيث يجعل رسالته .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه مشكاة الهدي ومنارة العارفين ورائد الموحدين إلي رحاب المعرفة واليقين برب العالمين وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين .

وبعد ....

فإن أهم قضية شُغل بها الإنسان منذ أقدم العصور حتى اليوم وكانت وما تزال شغله الشاغل : قضية الألوهية . أو الواحد والكثرة وما يلازمها من تساؤلات حول الوجود والمصير .

فلقد كان الإنسان وما يزال يتساءل عن كيفية وجود هذا الكون وعن مبدعه وهل هناك قوة خفية تسيره ؟ وإذا كانت هذه القوة موجودة فما هي طبيعتها ؟ وهل نحن قادرون على إدراك ما هيتها وحقيقتها أم لا ؟

ثم ما هو مصير هذا الكون بكل ما ومن فيه أإلي فناء أم هو خالد خلود مبدعه لقد حاول الإنسان عبر أجياله المتعاقبة أن يكون لنفسه موقفا إزاء هذه التساؤلات ، وقد كان من البديهي أن يختلف هذا الموقف قليلاً أو كثيراً من جيل إلي جيل – فتصورات الرجل البدائي تختلف عن تصورات الإنسان الذي ينتمي إلي مجتمع تسوده عقيدة

دينية سماوية حتى بالنسبة لأفراد هذا المجتمع فإن تصوراتهم في حل هذه القضية تتفاوت كثيراً تبعاً لنوعية الثقافة التي كيفت نظر الفرد وجعلته يفهم النصوص الدينية بنظرة – كثيراً ما تكون مغايرة لنظرة غيره – بالرغم من أن العقيدة في إطارها العام تمثل عاملاً مشتركاً .

ولقد كان للمعلم الثاني (الفارابي) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ والشيخ الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ تصوراتها الخاصة بهما حول هذه القضية والنابعة من عقيدتها الدينية وثقافتها العصرية ونتاج قرائحها الذهنية .

لذا آثرت أن يكون موضوع هذا البحث قضية الألوهية عند الفارابي وابن سينا وموقف القرآن الكريم منها .

ولقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب من أهمها .

١ – أن الفارابي وابن سينا من أبرز فلاسفة الإسلام على الإطلاق وأن لفظ فلاسفة الإسلام حينما يطلق يطلق عليهما أولاً وبالذات وذلك واضح في كتب التراجم كالقفطي ، وابن أبي أصيبعه ، وابن النديم وغيرهم ، وهما اللذان عناهما الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة .

٢ – إن تصور الفيلسوفين من حلول قاما بوضعها حيال هذه القضية هو الذي يجدد قربهما من العقيدة الدينية أو بعدهما عنها ، وخاصة إذا علمنا أن ابن سينا يعتبر تلميذاً للفارابي .

٣ – إن هذه الفلسفة – فلسفة الفارابي وابن سينا – لا تزال محل عناية للباحثين إلي اليوم لما لها من آثر فعال على الفلسفة الإسلامية بخاصة والفكر الإنساني بعامة .

٤ – إظهار الفلسفة الإسلامية على حقيقتها غنية عميقة ولا يمكن تحقيق هذا إلا بانتقال القارئ إلي شعابها وملتوياتها ومواجهة أساليبها في التعبير والنقاش .

هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع .

أما عن المنهج الذي اتبعته في دراستي لهذه القضية فإنه يتمثل في المنهج التحليلي والمقارن والاسترداي (التاريخي) والنقدي والاستنباطي – حيث إن الاعتماد على منهج واحد أمر عسير التحقيق والتطبيق ، كما أنه لا يتفق وطبيعة البحث العلمي في هذا الموضوع ، ومن ثم لا يحقق الغاية المنشودة من هذه الدراسة أما عن الخطوات الطبيعية لهذا المنهج فإنها تتمثل في مراعاة أطراف النسبة في العنوان ومن ثم جاءت على النحو التالي :

ا – قمت بتقسيم القضية المراد بحثها إلي جزئياتها الأصلية ثم تناولت بالدراسة والتحليل كل جزئية على حده .

ب – كنت لا أذكر رأيا لفيلسوف – من خلال ما كتب عنه بل كنت أتجرى الدقة في الرجوع إلي ما كتبه الفيلسوف نفسه من خلال كتبه ورسائله أو ما كتبه تلاميذه عنه . أو من كتب عنه بشرط ألا يخالفه في المذهب .

ج – كنت أقارن بين آراء الفيلسوف بعضها بعضاً – إذا كان له أكثر من رأي في المسألة الواحدة – وأرجح ما أراه مدعما ذلك بالدليل ، كما كنت أقارن بين رأي الفيلسوف وبين غيره بشرط ألا يخالفه في المذهب مبيناً سبب الاختلاف .

د – كنت لا أرجح بين الآراء إلا بالحجة القوية والبرهان اليقيني بعيداً عن الهوى والعصبية .

ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الباحث وخطة البحث .

والمبحث الأول فكان بعنوان : " العالم عند الفارابي وابن سينا " واشتمل هذا المبحث على أمرين وتعقيب :

أما الأمر الأول : فكان بعنوان حجج "برقلس" على قدم العالم ، حيث إنه قد شاع بين دارسي الفلسفة الإسلامية أن ما ذهب إليه الفارابي وابن سينا في العالم هو عين ما قال به "برقلس" .

والأمر الثاني : موقف الفارابي وابن سينا من العالم وذكر أدلتهما على ما ذهباً إليه . أما التعقيب فقد تضمن وجهة نظر الباحث في أدلة الفارابي وابن سينا .

أما البحث الثاني : فكان بعنوان أدلة وجود الله عند الفارابي وابن سينا .

وفيه بينت موقف الفارابي وابن سينا من الذات الإلهية – وهل يمكن إدراكها بالكنه والحقيقة أم لا – والسبب في ذلك . كما بينت أدلتهما على وجود الله وقيمة هذه الأدلة من الناحية العلمية

أما المبحث الثالث – فقد خصصته لبيان وجهة نظر الفارابي وابن سينا من مسألة الصفات ، وقد تناولت هذه المسألة من خلال أمور أربعة : أولها – الصفات بين الزيادة والعينية . وثانيها : صفة الوحدانية . وثالثها صفة العلم . ورابعها صفات أخري أثبتها الفارابي وابن سينا لله عز وجل .

أما المبحث الرابع : فقد جعلته للحديث عن موقف القرآن الكريم من هذه القضية ، وقارنت بين ما ذكره كل من الفارابي وابن سينا وبين ما ذكره القرآن الكريم ، ثم كانت الخاتمة والتي اشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته لهذه القضية .

والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يرزقنا العمل بما علمنا . وأن يجنبنا الزلل في القول والعلم والعمل .

الباحث

المبحث الأول

العالم عند الفارابي وابن سينا

بادي ذي بدء يمكن تصنيف المذاهب في أصل العالم إلي ما يلي:

١ – من يقول بأن العالم قديم بمادته وصورته وزمانه وتراكيبه ولا إله له أو مدبر يدبره ، وهذا من المذهب المادي بجميع أشكاله .

٢ – من يقول بوجود العالم ووجود قوة روحية خفية خلقته أو صنعته وهي قديمة معه ولكنها تدبره . وهذا هو المذهب الروحي بجميع أشكاله .

وهذا الاتجاه يضم المدارس أو الشعب التالية .

ا – من يقول بأن الله صنع العالم : كما يصنع النجار الكرسي من الخشب أي أن الله صنع صور الأشياء وتراكيبها من مادة أولي قديمة ، وأبرز مثل على هذا أفلاطون وأصحاب "الهيولي" من مفكري الإسلام ويمثلهم أبو بكر بن زكريا الرازي

يقول أفلاطون " إن تنسيق العالم وإنشاءه قد استوعب كلاً من العناصر الأربعة بجملته ، لأن منشئه قد أنشأه من النار بأسرها ومن الماء برمته ، وكذا الهواء والتراب ، ولم يدع خارج

العالم ولا ذرة واحدة ولا أية طاقة من أحد تلك العناصر وهذه كانت نواياه ...." [١] .

أما بالنسبة للرازي فإنه يري " أن الهولي كانت قبل خلق العالم مركبة من عدد لا ينتهي من الجزء الذي لا يتجزأ ويمتاز الجزء بالامتداد فإذا تركبت الأجزاء بنسب مختلفة مع أجزاء الخلاء تكونت العناصر الخمسة : التراب والهواء والماء والنار ثم العنصر الأثيري السماوي .. " [٢] .

ب – من يقول بأن الله قديم والعالم قديم بمادته وصورته وزمانه ، ولكن الله علة غائية للعالم بمعني أنه المحرك له علي سبيل العشق . وأبرز من يمثل هذا الرأي : أرسطو وابن رشد . يقول أرسطو : " العلة الأولي ثابتة هي هي دائماً لها نفس القدرة ومحدثة نفس المعلول ، فلو فرضنا وقتاً لم يكن فيه حركة لزم على هذا ألا تكون حركة أبداً ولو فرضنا على العكس أن الحركة كانت قدما لزم أنها تبقي دائماً " [٣] .

---

١ – طيماوس لأفلاطون نقلاً عن تاريخ الفلسفة اليونانية للدكتور / مصطفي النشار ج ٢ ص ٢٢٧ الطبعة الأولي ٢٠٠٠ .

٢ – أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي للدكتور / عبد اللطيف العبد مكتبة الأنجلو ١٩٧٧ ص ٨٧

٣ – تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ / يوسف كرم ص ١٨٦ – ١٩٣٦ .

ويقول ابن رشد : " ولأجزاء العالم الأزلية إنما هي واجبة الوجود في الجواهر إما بالكلية كالحال في الاسطقسات الأربعة وإما بالشخص كالحال في الأجرام السماوية " (١) .

ج – من يقول بأن الله أبدع العالم إبداعاً ليس من مادة قديمة بل على سبيل الفيض وهذا الفيض أزلي فالعالم قديم بالزمان محدث بالذات ، ويمثل هذا الاتجاه الفيضيون مثل: أفلوطين، ومن فلاسفة الإسلام الفارابي ، وابن سينا ، وأمثالهم . وسوف نبين ذلك عند حديثنا عنهما .

د – من يري أن الله خلق العالم من لا شيء لا على سبيل الفيض وليس منذ الأزل بل في زمن مخصوص له بداية بمقتضى إرادة الله التي اقتضت أن يوجده في وقت معين ، ويمثل هذا غالبية المتكلمين ، والكندي من الفلاسفة يقول الإمام الغزالي مبيناً موقف المتكلمين : " فإذا قلنا العالم إما قديم مؤخر وإما حادث مقدم وليس وراء القسمين قسم ثالث وجب الاعتراف به على كل عاقل مثاله أن نقول كل ما لا يسبق الحوادث فهو حادث والعالم لا يسبق الحوادث فهو حادث أحد الأصليين قولنا أن ما لا يسبق الحوادث فهو حادث ويجب على الخصم الإقرار به لأن ما لا يسبق الحوادث إما أن يكون مع الحادث أو بعده ، ولا يمكن قسم ثالث فإن ادعي قسماً ثالثاً كان منكراً لما هو بديهي في العقل ،

---

١ –تهافت التهافت لابن رشد القسم الثاني ص ٦٤٢ دار المعارف الطبعة الثانية .

وإن أنكر أن ما هو مع الحادث أو بعده ليس بحادث فهو أيضاً منكر البديهية" [١] .

وإلى ذلك ذهب الكندي حيث يقول : " من المقدمات الأولى الخفية المعقولة بلا توسط أن كل الأجرام التي ليس منها شيء أعظم من شيء متساوية ، والمتساوية أبعاد ما بين نهاياتها متساوية بالفعل والقوة وذو النهاية ليس لا نهاية له. وكل الأجرام المتساوية إذا زيد على واحد منها جرم كان أعظم منها ، وكان أعظم مما كان قبل أن يزيد عليه ذلك الجرم . وكل جرمين متناهى لعظم إذا جمعا كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ، وهذا واجب أيضاً في كل عظيم وفي كل ذي عظيم .. وبهذا التدبير تبين أنه لا يمكن شيء من الكميات أن يكون زمان لا نهاية له بالفعل والزمان ذو أول متناه والأشياء أيضاً المحمولة في المتناهي متناهية اضطرار فكل محمول في الجرم من كم ، أو مكان أو حركة ، أو زمان .. فمتناه أيضاً " [٢] .

تلك هي الآراء التي قال بها الفلاسفة قديماً وحديثاً ، ولا تخرج عما ذكرت من هذه الوجوه .

وإذا كان الفارابي وابن سينا قد ذهبا إلى القول بأن العالم حادث بالذات قديم بالزمان وجب أولاً بيان موقفهما " الفارابي وابن سينا " من المصطلحات الثلاثة العالم ، الحدوث ، القدم .

---

١ – الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ١٣ ، ١٤ الناشر محمد على صبيح ١٩٧٠ .

٢ – كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى تحقيق الدكتور / أحمد فؤاد الأهواني ص ٩٢ ، ٩٣ الطبعة الأولى ١٩٤٨ .

أولاً – العالم – يُعرف العالم في اللغة بأنه " كل ما سوي الله وقيل ما احتواه بطن الفلك .. ولا واحد للعالم من لفظه لأن عالماً جمع أشياء مختلفة فمن جُعل عالم إسما لواحد منها صار جمعا لأشياء متفقة والجمع عالمون .. وفي التنزيل الحمد لله رب العالمين قال ابن عباس : رب الجن والإنس ، وقال قتادة : رب الخلق كلهم . قال الأزهري : الدليل علي صحة قول ابن عباس قوله عز وجل ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ وليس النبي ﷺ نذيراً للبهائم ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله وإنما بعث محمد ﷺ نذيرا للجن والإنس . روي عن وهب بن منبه انه قال : لله تعالي ثمانية عشر ألف عالم . الدنيا منها عالم واحد . وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في صحراء . وقال الزجاج : معني العالمين كل ما خلق الله كما قال وهو رب كل شيء [١] .

ويعرفه ابن سينا بأنه يطلق على كل جملة موجودات متجانسة لقولهم عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل [٢] . ويري الدكتور جميل صليبا أن ما ذهب إليه ابن سينا في تعريفه للعالم لهو الصواب وهو الذي يتفق والعلم الحديث حيث يقول : " ويطلق العالم على جملة موجودات من جنس واحد كقول ابن

---

١ –لسان العرب للعلامة أبن منظور ج ١٠ ص ٢٦٥ دار صادر بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠ وانظر تفسير الإمام القرطبي ج ١ ص ١٢٨ دار الفكر العربي الطبعة الأولى ١٩٩٩ .

٢ – تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا ص ٩١ الناشر دار العرب للبستاني .

سينا : يقال عالم لكل جملة موجودات متجانسة كقولهم عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل .. ومن قبيل ذلك قولنا العالم الخارجي والعالم الحسي – وهو مجموع الأشياء التي يمكن إدراكها بالحواس– ويقابله العالم الداخلي – وهو مجموع الأحوال النفسية المدركة بالشعور–وقد عم استعمال هذا الاصطلاح في أيامنا هذه حتى أطلق على كل جملة من الأشياء المتجانسة كقولنا عالم القيم وعالم الأدب وعالم السياسة وعالم المقال"(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظ العالم يطلق بإطلاقين إطلاق عام ويطلق على كل ما سوي الله من الموجودات – روحانية كانت أو مادية – لأنه يعلم بها الله تعالي من حيث أسمائه وصفاته . وإطلاق خاص وهو الذي عناه ابن سينا في تعريفه بأنه يطلق على كل جملة موجودات متجانسة ، وابن سينا بهذا التعريف لم يخرج عن نطاق اللغة العربية كما ذكر ابن منظور ذلك واختيار ابن سينا ذلك التعريف للعالم دون غيره لأنه يريد أن يضع تعريفا للعالم دون النظر إلي كونه قديماً أو محدثا ودون أن يكون في التعريف إلزام لأحد القولين .

ثانيا : الحدوث : يعرف الحدوث في اللغة بأنه كون الشيء لم يكن وأحدثه الله ، محدث وحدث أمر أي وقع ومحدثات ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على

---

١ – المعجم الفلسفي للدكتور / جميل صليبا ج ٢ ص ٤٥ دار الكتاب اللبناني ١٩٩٤ م .

وفي الحديث إياكم ومحدثات الأمور محدثة بالفتح وهو ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع " (١) .

وفي الاصطلاح يعرفه صاحب الكليات بأنه " الحادث كل ما كان وجوده طارئا على عدمه أو عدمه طارئا على وجوده فهو حادث (٢) . ويقول في موضع أخر بأنه حصول الشيء بعد ما لم يكن " (٣) .

ويعرفه ابن سينا بأنه يقال على وجهين أحدهما زماني والأخر غير زماني والحدوث الزماني إيجاد شيء بعد ما لم يكن له وجود في زمان سابق . والحدوث غير الزماني هو إفادة الشيء وجود ليس في ذاته الوجود لا بحسب زمان دون زمان بل في كل زمان كلا الأمرين(٤) .

ومعني ذلك أن الحادث الزماني هو ما كان مسبوقاً بالعدم أي الذي سبقه زمان لم يكن فيه موجود وذلك مثل الأشخاص والأفراد أما الحادث الذاتي فهو الذي يحتاج في وجوده إلي علة أو هو الذي مفتقر في وجوده إلي العلة وذلك كالنفوس الناطقة والعقول والأفلاك .. الخ .

ثالثاً ـ القدم ـ يعرف في اللغة بأنه " القدم من أسماء الزمان يقال كان كذا قديماً في الزمان القديم . والقديم ما مضي على

---

١ – لسان العرب ج ٤ ص ٥٢ .

٢ – المعجم الوسيط ج ٢ ص ٧٢٦ ، ٧٢٧ .

٣ – الكليات لاي البقاء الكفوي ص ٣٥٩ الناشر مؤسسة الرسالة ١٩٩٨

٤ – السابق ص ٤٠٠ .

وجوده زمان طويل جمع قدماء وقدامي وهو صفة أو اسم من أسمائه تعالي " [١] .

ويري ابن سينا أن القدم يقال على وجوه : فيقال قدم بالقياس هو شيء في زمانه في الماضي اكثر من زمان شيء أخر هو قديم بالقياس إليه . وأما القديم المطلق فهو أيضاً يقال على وجهين . بحسب الزمان وبحسب الذات أما الذي بحسب الزمان فهو الشيء الذي وجد في زمان ما من غير تناه . وأما القديم بحسب الذات فهو الشيء الذي ليس لوجود ذاته مبدأ به وجب . فالقديم بحسب الزمان هو الذي ليس له مبدأ زماني والقديم بحسب الذات هو الذي ليس له مبدأ يتعلق به وهو الواحد الحق [٢] .

وهكذا نجد أن مصطلح القدم والحدوث عند ابن سينا قد أخذا مفهوماً أخر غير الذي كانا عليه فالحادث هو الذي لم يكن ثم كان والقديم هو ما لا أول لوجوده فأصبح كل منها يطلق بإطلاقين ويبين الإمام بن تيمية أن هذا الإطلاق الجديد لم يحدث إلا على يد الفارابي وابن سينا حيث يقول" .. والمعني الثالث الذي أحدثه.. ابن سينا وأمثاله قالوا نقول العالم محدث أي معلول لعلة قديمة أزلية أو جبته فلم يزل معها وسمو هذا الحدوث الذاتي وغيره الحدوث الزماني والتعبير بلفظ الحدوث على هذا المعني

١ – تسع رسائل في الحكمة لابن سينا ص ١٠٣ .

٢ – تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا ص ١٠٣ .

لا يعرف من أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم إلا من هؤلاء " [١] .

ويتصل بهذه المصطلحات الثلاثة اصطلاحات أخرى لابد من بيان معناها هذه المصطلحات هي الإبداع ، الخلق ، الفيض .

الإبداع – يعرف الإبداع في اللغة بأنه إيجاد الشيء لا علي مثال سبق أو بدأ الخلق على غير مثال . يقول ابن منظور " أبدعت الشيء اخترعته لا علي مثال والبديع من أسماء الله تعالي لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها وهو البديع الأول قبل كل شيء ويجوز أن يكون بمعني مبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه والله تعالي كما قال سبحانه بديع السماوات والأرض أي خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق قال أبو إسحاق : يعني أنه أنشأها على غير حذاء ، ولا مثال إلا أن بديعاً من بدع لا من أبدع وأبدع أكثر في الكلام من بدع[٢]

ويقول الراغب الأصفهاني " الإبداع إنشاء صنفة بلا احتذاء واحتواء ومنه قيل ركبه بديع أي جدية الحفر وإذا استعمل في جانب الله تعالي فهو إيجاد الشيء بغير آله ولا مادة ولازمان ولا مكان وليس ذلك إلا لله .... " [٣] .

---

١ – درء تعارض العقل والنقل للإمام بن تيميه ج ١ ص ١٢٦ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم السعودية جامعة الإمام محمد بن سعود .

٢ – لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ٣٧ .

٣ – المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٩ .

ويزيد صاحب الكليات ذلك الأمر وضوحاً فيبين أن الإبداع يقال على عدة معان حيث يقول " الإبداع لغة عبارة عن عدم النظير وفي الاصطلاح هو إخراج ما في الإمكان والعدم إلي الوجوب والوجود .. ويقال الإبداع إيجاد الأيس عن الليس والوجود عن كتم العدم والإيجاد والاختراع إفاضة الصورة على المواد القابلة ومنه جعل الموجود الذهني خارجاً . وقال بعضهم الإبداع إيجاد شيء غير مسبوق بمادة ولا زمان كالعقول فيقابل التكوين لكونه مسبوقاً بالمادة والأحداث لكونه مسبوقاً بالزمان والإبداع يناسب الحكمة والاختراع يناسب القدرة "[1] .

أما الفارابي فإنه يعرف الإبداع بأنه " إيجاد الشيء لا عن شيء وأن كل ما تكون من شيء ما فإنه يفسر لا محالة إلي ذلك الشيء والعالم مبتدع من غير شيء فمآله إلي غير شيء "[2] . ويقول في موضع آخر " الإبداع هو حفظ أدامة وجود الشيء الذي ليس وجوده لذاته أدامة لا تتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع ونسبة جميع الأشياء إليه من حيث إنه مبدعها أو هو الذي ليس بينه وبين مبدعه واسطة وبواسطته تكون علة الأشياء الأخر نسبة واحدة "[3] .

أما ابن سينا فإنه يري أن الإبداع يطلق على مفهومين – الأول تأسيس الشيء لا عن شيء ولا بواسطة شيء – والثاني

---

١ – الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٢٩ .

٢ – الجمع بين رأيي الحكمين للفارابي ص ٢٣ ، ٢٤ .

٣ – عيون المسائل للفارابي ص ٥١ .

أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب بلا متوسط وله في ذاته ألا يكون موجودا وقد أفقد الذي في ذاته إفقاداً تاماً [١] .

يقول ابن سينا " الإبداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط والإبداع أعلي مرتبة من التكوين والإحداث " [٢] .

ويعلق الطوسي على قول ابن سينا بقوله " أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان لم يكن مسبوقاً بعدم ويتبين من إنضياف تفسير الإبداع إليه أن الإبداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره من غير أن يسبقه سبقا زمانياً وعند هذا يظهر أن الصنع والإبداع ستقابلان .. والتكوين هو أن من الشيء وجود مادي والأحداث هو أن يكون من الشيء وجود زماني وكل واحد منهما يقابل الإبداع من وجه والإبداع أقدم منهما لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين والزمان لا يمكن أن يحصل بالأحداث لامتناع كونهما مسبوقين بمادة أخرى وزمان أخر فإذن التكوين والأحداث مرتبان على الإبداع وهو أقرب منهما إلي العلة الأولي فهو أعلي مرتبة ... " [٣] .

هذا هو معني الإبداع عند كل من الفارابي وابن سينا .

---

١ - الإشارات .. القسم الثالث ص ٩٥ .

٢ - تسع رسائل في الحكمة لابن سينا ص ١٠١ .

٣ - شرح الطوسي على الإشارات ق ٣ ص ٩٥ ، ٩٦ .

الخلق : يعرف في اللغة بأنه ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه . قال ابن الأنباري الخلق في كلام العرب على وجهين أحدهما الإنشاء على مثال أبدعه والأخر التقدير وذهب ابن سيده إلي أن الخلق هو التقدير وليس معناه أنه يحدث معدوماً وقيل خلق الله الشيء يخلقه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن " (١) .

ويعرفه صاحب الكليات بأنه " كل فعل وجد من فاعله مقدراً لا على سهو وغفلة فهو الخلق " (٢) .

ويقول في موضع أخر " الخلق إيجاد شيء على تقدير أى مشتملاً على تعيين قدر كان ذلك التعيين قبل ذلك الإيجاد ومشتملاً على استواء الموجب للمعين في القدر فكما يجعل الفعل مساوياً للمقياس يجعل الخالق مساويا لما قدره في عمله ولا يخالف الموجب المقدر في العلم..وقد يطلق لمجرد الإيجاد من غير نظر إلي وجه الإشتقاق " (٣).

أما ابن سينا فإنه يعرف الخلق بأنه " اسم مشترك فيقال خلق لإفادة وجود كيف كان ويقال خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان . ويقال خلق لهذا المعنى الثاني بعد أن يكون لم يتقدمه وجود ما بالقوة ليلازم المادة والصورة في الوجود " (٤) .

---

١ – لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ١٣٩ .

٢ – الكليات لأبي البقاء ص ٤١٤ .

٣ – السابق ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

٤ – تسع رسائل .. لابن سينا ص ١٠١ ، ١٠٢ .

هذا هو تعريف الخلق في اللغة والاصطلاح وتعريف ابن سينا له والملاحظ أن ما ذكره ابن سينا هو ما ذكره الإمام الغزالي حيث يقول " الخلق هو اسم مشترك فقد يقال خلق لإفادة وجود كيف كان وقد يقال خلق لإفادة وجود حاصل عن مادة وصورة كيف كان وقد يقال خلق لهذا المعني الثاني لكن بطريق الإختراع من غير سبق مادة فيها قوة وجوده وإمكانه " (١) .

الفيض : يعرف الفيض في اللغة بالكثرة والامتلاء حتى السيلان والسخاء والانتشار والتساوي والدفع (٢) إلي غير ذلك من المعاني والفيض يستعمل في إلقاء الله تعالي وأما ما يلقيه الشيطان فإنه يسمي بالوسوسة .

والفيض في الاصطلاح يطلق علي فعل يفعل دائماً لا لعوض ولا لغرض وذلك الفاعل لا يكون إلا دائم الوجود لأن دوام صدور الفعل عنه تابع لدوام وجوده وهو المبدأ الفياض والواجب الذي يفيض عنه كل شيء فيضاً ضرورياً مفعولاً والمقصود بالفيض أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد أو جوهر واحد من دون أن يكون في فعل هذا المبدأ أو الجوهر تراخ أو انقطاع ولذلك كان القول بفيض العالم عن الله مقابلاً للقول بخلقه من العدم" (٣)

---

١ – معيار العلم للإمام الغزالي ص ١٨٩ ط ٢ .

٢ – لسان العرب ج ١١ ص ٢٥٠ ، ٢٥١١٠٢ .

٣ – المعجم الفلسفي للدكتور جميل صليبا ج ٢ ص ١٧٢ .

يقول الفارابي " والأول هو الذي عنه وجد ومتي وجد للأول الوجود الذي هو له لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات التي وجودها لا بإرادة الإنسان واختياره على ما هي عليه من الوجود .. ووجود ما يوجد عنه إنما هو على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر وعلى أن وجود غيره فائض عن وجوده هو فعلي هذه الجهة لا يكون وجود ما يوجد عنه سببا له بوجه من الوجوه ولا على أنه غاية لوجود الأول .. بل وجوده لأجل ذاته يلحق جوهره ووجوده ويتبعه أن يوجد عنه غيره فلذلك وجوده الذي به فاض الوجود إلي غيره هو في جوهره الذي به تجوهره في ذاته بعينه الذي يحصل وجود غيره عنه"[1]

وإلي هذا القول يذهب ابن سينا أيضاً حيث يقول " إن الله يعقل ذاته ويعقله لذاته يعقل أنه مبدأ الكائنات وعلة لها فيعقل النظام المتمثل في الكل وكيف يكون ومتي يكون وما يلزم من الأوضاع والأوقات المترتبة الغير المتناهية وعقله هذا أو إن شئت عقل علمه ليس ناشئاً عن الأشياء ومنتقلا من معقول إلي معقول على ما سبق القول به بل هو ناشئ عن ذاته .. وإذن فليس هو محتاجاً وراء هذا العلم إلي شيء آخر ليبرز العلم به . وعلى ذلك فإنه يلزم من عقله لهذا النظام أن يفيض العالم عنه على حسب ما علم فيضا ضروريا لازما لذاته لا مقصودا لذاته حتى يلزم الاستكمال بالغير .. " [2] .

---

١ – أراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ص ١٦ ومابعدها .

٢ – ابن سينا بين الدين والفلسفة للدكتور / حمودة غرابه ص ١٢٩ .

ويقول في موضع آخر " وهو فاعل الكل بمعنى أنه الموجود الذي يفيض عنه كل وجود فيضا تاماً مباينا لذاته ولأن كون ما تكون عن الأول إنما هو على سبيل اللزوم " (١) .

وهكذا نجد الفارابي وابن سينا يفسران الفيض على أساس التعقل والعلم حتى لا يكون هناك ما يشوب وحدة الذات الإلهية .

والملاحظ هنا أن الفارابي وابن سينا في تعريفهما لهذه المصطلحات السالفة الذكر لم يخرجا عن نطاق اللغة العربية وإن كانا قد أضافا إليها بعض المعاني التي تحتملها من بعض الوجوه ولا تحتملها من البعض الآخر حتى يتفق ذلك وما ذهبا إليه في قولهما بقدم العالم . وأن القول بالقدم لايتنا في ولا يتعارض مع القول بالإبداع والخلق والصنع .

إلا أن القول بالفيض وما يتبعه من وسائط أمر لا تقره اللغة ولا يوافق عليه الدين ولكن الذي دفعهما إلي ذلك إثبات وحدانية الله وجعل العالم معلولا عنه حتى لا يؤدي ذلك إلي تعدد القدماء

هذا عن تعريف المصطلحات والتي لابد من الوقوف عليها أولاً ليتسنى لنا معرفة موقف الفارابي وابن سينا .

موقف الفارابي وابن سينا من قدم العالم :

ذهب الفارابي وابن سينا إلي أن العالم قديم بالزمان – أي لم يسبقه زمان كان غير موجود فيه – حادث بالذات – أي انه

١ – النجاة لابن سينا ص ٣١١ .

محتاج في وجوده إلى علة – ذلك يعني أن وجوده ليس من ذاته بل من غيره وأنه وجد عن الله على جهة الفيض .

يقول الفارابي " الماهية المعلولة لا يمتنع وجودها في ذاتها وإلا لم توجد . ولا يجب وجودها بذاتها وإلا لم تكن معلولة فهي في حد ذاتها ممكنة الوجود وتجب بشرط مبدئها وتمتنع بشرط لا مبدئها في حد ذاتها هالكة ومن الجهة المنسوبة إلى مبدئها واجبة ضرورة وكل شيء هالك إلا وجهه : الماهية المعلولة من ذاتها أنها ليست ولها من غيرها إنها توجد والأمر الذي عن الذات قبل الأمر الذي ليس عن الذات فللماهية المعلولة إلا توجد بالقياس غليها قبل أن توجد فهي محدثة لا بزمان تقدم " (١) .

ويقول في موضع آخر " والأول هو الذي وجد ومتي وجد للأول الوجود الذي هو له لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات التي وجودها لا بإرادة الإنسان واختياره على ما هي عليه من الوجود الذي بعضه مشاهد بالحس وبعضه معلوم بالبرهان ووجودها يوجد عنه إنما هو على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر على أن وجود غيره فائض عن وجوده هو فعلي هذه الجهة لا يكون وجود ما يوجد عنه سببا له بوجه من الوجوه ولا على انه غاية لوجود الأول .. فهذه الأشياء كلها محال أن تكون في الأول لأنه يسقط أوليته وتقدمه ويجعل غيره أقدم منه وسبباً لوجوده . بل وجوده لأجل ذاته يلحق جوهره ووجوده ويتبعه أن يوجد عنه غيره .. فلذلك وجوده الذي به

---

١ – فصوص الحكم للفارابي ضمن رسائل ثمانية طبعت سنة ١٩٠٧ ص ٥٨ .

فاض الوجود إلي غيره هو في جوهره ووجوده الذي به تجوهره في ذاته هو بعينه وجوده الذي به يحصل وجود غيره عنه "(١) .

فالفارابي يبين أن العالم قديم بالزمان أي أن وجوده مصاحب لوجود الله لا يسبقه عنه لحظة ومع ذلك فهو حادث بالذات إن الحادث بالذات هو المحتاج في وجوده إلي غيره ولا بقاء له إذا عدمت العلة التي هو بها متعلق .

فالعالم من صنف الوجود الممكن فحال ما تنقطع صلته بموجده أو بعلته الموجودة يعود عدماً ولكن لما كان الله واجب الوجود بذاته – أي لا يمكن عدم تصور وجوده أزلاً ولا في المستقبل والعالم متعلق به تعلق المعلول بعلته أصبح العالم قديماً بالزمان محدثاً بالذات .

وإلي ذلك أيضاً يذهب ابن سينا حيث يقول " كل موجود إذا التفت إليه من حيث ذاته من غير التفات إلي غيره فإما أن يكون بحيث يجب له الوجود في نفسه . أولاً فإن وجب فهو الحق بذاته الواجب الوجود من ذاته وهو القيوم . وإن لم يجب لم يجز أن يقال إنه ممتنع بذاته بعد ما فرض موجوداً . فإن قرن باعتبار ذاته شرط مثل شرط عدم علته صار ممتنعاً . أو مثل شرط وجود علته صار واجباً . وأن لم يقترن بها شرط لا حصول علة ولا عدمها بقي له في ذاته الأمر الثالث وهو الإمكان : فيكون

---

١ – أراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ص ١٦ ، ١٧ طبع الحلبي بالقاهرة بدون تاريخ .

باعتبار ذاته الشيء الذي لا يجب ولا يمتنع فكل موجود إما واجب الوجود بذاته أو ممكن الوجود بذاته .

إشارة : ما حقه في نفسه الإمكان فليس يصير موجوداً من ذاته فإنه ليس وجوده من ذاته أولي من عدمه من حيث هو ممكن.فإن صار أولي لحضور شيء أو غيبته فوجود كل ممكن هو من غيره " (١) .

من خلال هذا النص الذي ذكره ابن سينا ونصوص الفارابي السابقة أستطيع أن استخلص الخطوط العريضة التي يمكن الإشارة إليها .

١ – أن الفارابي وابن سينا يؤكدان على أن العالم محدث وان الله أحدثه من عدم وأن علة الأحداث هي الإمكان لا الحدوث كما ذهب إلي ذلك المتكلمون .

٢ – أن الفارابي وابن سينا يؤكدان على أن العالم حادث بالذات قديم بالزمان وذلك يعني أنه حادث لأن وجوده من غيره ولم يسبقه زمان كان غير موجود فيه .

٣ – أن الفارابي وابن سينا يؤكدان على أن القول بالقدم (الزماني) لا يتنافي أبداً مع إثبات الكمال لله ولا سيما إرادته سبحانه حيث أن الإرادة عندهما لها معنيان الأول سلبي ومعناها أنه مريد بمعني غير مكره مغلوب : والثاني ثبوتي وهو العلم

---

١ – الإشارات والتنبيهات لابن سينا القسم الثالث ص ١٩ ، ٢٠ دار المعارف الطبعة الثانية .